## * عبـــاس الأسوانـــى *
## «صاحب المقامات الأسوانية»

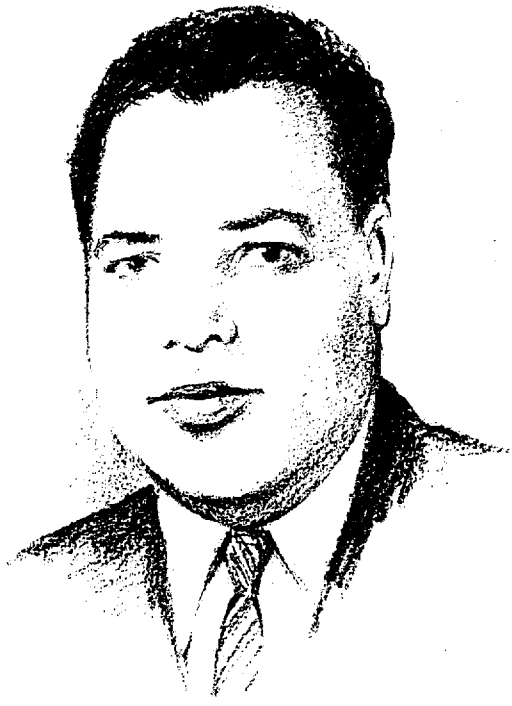

* .. لأنه كان يحب الحياة ، و لأن الحياة لم تكن يوماً كما يحب .. فقد كان حزيناً ، وساخراً ؛ لأن السخرية هي الوسيلة النبيلة المتاحة للصمود في وجه الظلم .. هكذا تعلم «عباس الأسوانى» من أستاذه العظيم : «الشعب المصرى» ..

د . علاء عباس الأسوانى

* **عبد العزيز عباس سعيد الأسوانى : ( عباس الأسوانى ) ..**

* ولد فى يوم الخميس ( **٢٦ من جمادى الآخرة عام ١٣٤٣ هـ ـ الموافق ٢٢ من يناير سنة ١٩٢٥ م** ) بقرية « دراو » بأسوان مصر..
* حصل على الابتدائية سنة (**١٩٣٧**) من مدرسة المنيرة الابتدائية..
* حصل على التوجيهية سنة (**١٩٤٣**) من مدرسة الخديوية ..
* حصل على ليسانس الحقوق فى (**مايو سنة ١٩٤٩**) من جامعة القاهرة مع «عائشة راتب » ..
* بدأحياته العملية فى (**نوفمبر سنة ١٩٤٣**) بقسم القيودات بوزارة المعارف .
* بعد حصوله على ليسانس الحقوق سنة (**١٩٤٩**) عمل مستشاراً قانونياً فى «نادى السيارات » ..
* اشتغل بالمحاماة سنة (**١٩٥٣**) ..
* فى سنة (**١٩٥٣**) عمل بجريدة « الجمهورية » رئيساً للقسم القضائى حتى يوليو سنة (**١٩٥٤**) ..
* تفرغ للمحاماة مرة أخرى سنة (**١٩٥٤**) ، وظل بعيداً عن الحياة السياسية والأدبية و الصحفية حتى عام (**١٩٦٢**) ..
* فى سنة (**١٩٦٢**) عمل فى مجلة « الكاتب » كاتباً قصصياً ، و بدأ يتعاون مع الإذاعة ، فعمل برنامجاً بعنوان : « فى ذكرى بيرم التونسى » و أذيع فى يناير سنة (**١٩٦٢**) ..
* ثم عمل حلقات للإذاعة بعنوان : « موهوب وسلامة » ، و «المقامات الإذاعية» ، و « ذكية الغيبة » و « مصلح زمانه » ..

* عمل مستشاراً وكاتباً فى جريدة « التعاون » من سنة (١٩٦٥) إلى أن توفى..

* عمل مستشاراً قانونياً فى « الأعلام و الترفيه » من سنة (١٩٦٥) حتى سنة (١٩٧١) ..

* عمل مستشاراً قانونياً لنقابة الصحفيين من سنة (١٩٦٩ حتى سنة ١٩٧٥)..

* عمل مستشاراً قانونياً لـ « روز اليوسف » سنة (١٩٧٥) ..

* حصل على جائزة الدولة التشجيعية في (٢٧من فبراير عام ١٩٧٥) عن روايته: « الأسوار العالية » التى كتبها عام (١٩٧٤) ..

* عمل في صحف كثيرة منها : « الجهاد » و « المصري » و «الشعلة » و«الاشتراكية » و « الصرخة » و « مصر الفتاة » و«الجمهور المصري » .. و « روز اليوسف » و « صباح الخير » و« التعاون » و « الجمهورية » .. و في معظم صحف مصر ..

* بالإضافة إلى أعماله الإذاعية ، فإن له العديد من المؤلفات الأدبية منها :

١ - « الضاحك الأخير » : فبرايرسنة (١٩٦٤) فى سلسلة الكتاب الذهبى..

٢ - « المقامات الأسوانية » : سنة (١٩٧٠) مكتبة الأنجلو المصرية بالقاهرة..

٣ - « الأسوار العالية » : مارس سنة (١٩٧٢) سلسلة الكتاب الذهبى ..

٤ - « رجل من الأمس » : أبريل سنة (١٩٧٣) سلسلة كتاب اليوم بالقاهرة ..

٥ - « عائد من الآخرة » : نوفمبر سنة (١٩٧٥) ..

٦ - « موهوب وسلامة » مطبعة حليم بالقاهرة ..

* وكان يعد للطبع قبل وفاته :

١ - « شخصيات لها العجب » ( ٤٠ ) شخصية .. ( وهى مجموعة حلقات كان يكتبها سنة ( **١٩٧١** ) في مجلة « روز اليوسف » ..

٢- « حكاية » .. كانت تنشر فى مجلة « صباح الخير » سنة (١٩٧٢) ..

* توفى يوم الجمعة ( **٢٨ من رجب عام ١٣٩٧هـ ـ الموافق ١٥ من يوليه سنة ١٩٧٧** ) ..

* * *

## من آثاره :

### ( الحب عند الغجر .. بين الأنثى و الذكر (*) )

كنا نجلس عند حلوانى .. في شارع السد الجوانى .. إلى مائدة بجوار الباب .. و حولها كل الأحباب .. فهبط علينا دون إنذار .. أديب يدعى مختار .. ثقيل الظل فى الشمس والضل .. إذا جلس إلينا ساعة .. تمنينا قيام الساعة .. لأن صمته تأديب ، و كلامه تعذيب ..

وكان مختار قد انقطع عن الكتابة .. مدعياً القرف و الكآبة .. ولكن الحقيقة أنه كان قد تزوج امرأة متعبة .. قتلت فيه الموهبة .. فلما اكتشف الجريمة .. أصبحت حالته أليمة .. فانقلبت شخصيته و تعقد .. و عاند .. وتشدد.. فهجره أهله .. و تدهور دخله .. فأصبح زرى الطلعة .. مغبرالصلعة ..

و فجأة أقبلت علي الحلوانى .. من الرصيف التانى .. امرأة حسناء.. ذات روعة و بهاء .. جميلة القد والصورة .. كأنها سنيورة .. و اقتربت منا وهى تهتز.. ونحن بمرآها نلتذ .. وحمل عطرها النسيم إلى الأنوف .. فدقت فى أعصابنا الدفوف .. وقال بعضنا « الله » ! .. وصاح واحد « ياه » ..

لكننا فجأة توقفنا عن القول .. وتملكنا الروع والهول .. إذ رأينا الحسناء المعطرة .. تقبل فى مخطرة .. و تلقى على مختار نظرة.. و تشهق فى حسرة .. وقبل أن يفيق من الذهول .. عدلت هى عن الدخول .. و انصرفت .. وفى سرعة انحرفت .. إلى الشارع الورانى .. خلف دكان الحلوانى .

---

(*) المقامات الأسوانية ..

و ما كادت تغيب عن الأنظار .. حتي بدأ الاستفسار .. فالتفت الأستاذ زكريا إلى مختار .. وسأله فى تدقيق .. كمن يجرى تحقيق.. هل تعرف هذه المرأة من قبل ؟ ..

فقال مختار ، وهو محتار .. لم يقع بصرى عليها إلا الآن .. لا فى شارع ولا دكان .. ولا فى حديقة الحيوان .. فزوى زكريا حاجبيه فى اهتمام .. وقال ياسلام .. ألم ترها فى سينما أو مسرح ؟ .. فرد مختار في ثقة : ولا فى أى مطرح ..

وهنا ضرب زكريا بيده المائدة .. و قال .. إذن لا مناص من اتخاذ القرار .. هذه المرأة وقعت فى حبك يا مختار .. و هذا أمر واضح كالنهار ..

فضحكنا وقلنا .. يا زكريا دعك من التهجيص .. فلسنا بلاليص .. صحيح أنت تفهم لكل شيء علة .. ولك فى كل حى شلة .. ولكن كيف يمكن لمثل الحسناء الباهرة .. وليس منها خمسة فى القاهرة.. أن تقع فى غرام مختار ؟..

فقال زكريا : إنها مسألة واضحة وسهلة .. أيها الجهلة .. لقد لاحظتم نظرتها البراقة .. ونفى وهو سابق العلاقة .. ولما أحست بأنها انكشفت وتهورت.. شهقت وتأوهت .. فهل يوجد دليل علي الحب .. أقوى من النظرة الواضحة .. والشهقة الفاضحة ..؟

فقلنا : **ولكن .. هل يقع الحب في الحال ؟ فأجاب : نعم كالزلزال..**

فعدنا نسأله : **ولكن هذا أمر عجيب .. يحتاج إلي طبيب .. لماذا لم تلتفت هذه المرأة إلينا .. وآثرت مختاراً علينا ، وهو قبيح الصورة .. وعينه الشمال عورة ؟ ..**

فاعتدل زكريا فى جلسته .. واتخذ للشرح عدته .. وأبعد طبق الكنافة .. وأشعل لفافة .. وقال : لكى نعرف سر الحب .. وكيف يطب .. وتفهم لماذا ألقت هذه المرأة نظرة .. ثم شهقت فى حسرة.. يجب أن أشرح لكم الحب عند الغجر .. بين الأنثى و الذكر ..

فأدهشتنا الانتقالة .. بدون استقالة .. وسألناه عن العلاقة بين الحسناء المصرية .. والمرأة الغجرية .. فقال زكريا : لا أريد تعليقاً ولا مقاطعة .. بل صمتاً ومتابعة: إننى الوحيد الذى اكتشفت حقيقة الغجر.. بين أصناف البشر .. فعلماء تاريخ الأجناس .. الذين درسوا القرد والنسناس .. وقعوا فى خطأ ولبس .. وقالوا عن الغجر إنهم جنس ..

مع أنهم ليسوا جنساً بل طبقة .. تستحق الشفقة .. موجودة فى كل أمة..تلبس قبعة أو عمة .. ولكنهم إذا قسم المجتمع إلي طبقات كانوا خارج التقسيم ..كأنهم مساحة استبعدها التنظيم .. لأنهم يكرهون المدنية ويعيشون على الحدود .. بلا أدنى قيود .. وإن كانت لهم تقاليد .. راسخة كالعواميد ..

ولأنهم يقيمون بعيدين عن العمران .. ويتناسلون كالفيران .. وليس لديهم مصنع ولا دكان ، فقد أخذوا يتسللون إلى المدينة .. ويشتغلون بأى حرفة هينة .. ليحصلوا على لقمة لينة .. يعودون بها إلى ذويهم .. في حجر يواريهم ..

ولكن المجتمع لايرحب بالمتسللين إليه .. ورآهم خارجين عليه .. فأغلق دونهم الباب .. وصب عليهم العذاب .. ومن أفلته الحصار .. بالليل أو بالنهار .. قابلته المتاعب .. و نسبت إليه المصائب .. فإن تاه غلام .. لا يعرف الكلام .. قال الناس : حكم القدر .. خطفه الغجر ..

و إن هربت فتاة .. أبوها مشغول .. مع بلطجى مفتول .. خدعها بحكاية .. ومناها بالمأذون والداية .. قال الناس : حادث مؤلم .. خطفها من الغجر مجرم .. فساءت عنهم في البلاد السمعة .. ولم تقبل في واحد منهم الشفعة .. فضاقت فى وجوههم المسالك .. وسقطوا بين جائع وهالك ..

عندئذ تقرر عقد اجتماع غير عادى .. أبلغ ميعاده منادى .. فتجمع على الحدود رجال الغجر .. كما يجتمع العساكر و الخفر .. و أجروا مداولات بينهم « ومحاورات » واضحة .. و ليست مقنعة .. إذ ليس فيهم إمعة ..

.. و انتهوا إلى قرار .. لم يحسوا منه بالعار .. لأن للضرورة أحكام .. يخضع لها الأنام .. وقال القرار بعد الحيثيات .. و رثاه زعيم كان قد مات .. إنه ما دام رجال الغجر يتسللون .. ولكنهم من المدينة يطردون .. ومن العمل يمنعون .. فقد تقرر إيفاد النساء .. لإحضار القوت و الكساء ..

وقد اتخذ هذا القرار بإجماع .. الرؤساء و الأتباع .. وبعد دراسة مستفيضة .. ومناقشة عريضة .. وبنى على أساسين : أن تطمئن المدينة بعد الفزع .. وأن تشتغل الغجرية بضرب الودع ..

و تحقق فعلاً الأساس الأول .. فسألت الغجرية فى هدوء ...ولم يصبها أى سوء .. فالمجتمع لا يخشى من المرأة أن تخطف فتاة .. أو تهدم قناة .. ولا أن تقتل أى غلام .. ولو كان فى سابع منام ..

وتكرر من نساء الغجر إلى المدينة الدخول .. حيث لعبن بالعقول .. وشاهدنا الغجرية .. في مهارة يدوية .. تلتقى بالدموع .. وتقرأ الكف للجدع ! ..

وتنهد زكريا فى ارتياح .. لأن انسجامنا قد لاح .. وقال : وانتقلت بذلك عند الغجر المسؤلية .. من الرجل إلى الوليه .. فجلس الرجال بلا عمل ..

ينتظرون فى أمل .. أن تعود النساء بالعشاء ..

فلما أحست الغجرية بقوتها ... تصرفت بفطرتها ... وأعلنت أنها مادامت تسعى وتكد .. وتقبض النقود وتعد .. وتشترى اللحم والدجاج .. والسجاير والمزاج .. فالأمر لها فى الزواج .. وتخضع للقرار الفحول .. لأنه كلام معقول .. فكانت الغجرية إذا أرادت أن تتزوج .. بدت كأميرة ستتوج .. وأقامت حفلة فيها مغن .. وبارع فى كل فن .. ووقف أمامها الرجال صفاً ، ودارت هى عليهم لفاً.. وتلتقى من تريد .. دون إكراه ولا تهديد .. لأن الرجال متساوون .. وكلهم متعطلون .. وللطعام منتظرون .. فتختار بالفطرة .. وبمجرد تلاقى النظرة .. من تحس أنه نصفها المنشود .. وحظها الموعود ..

أما فى المدينة فالأنثى حالها معروف .. تتحكم فيه الظروف .. فأحلى صبية.. تتزوج هفية .. عمره ميه .. وهى مضطرة .. لأنها لم تجد سواه .. يدفع لأبيها المهر .. ويقرضه فى كل شهر .. ويخصص لأخيها الحلوف .. طبعاً مصروف .. هذا غير العيدية .. وعنده النجاح والهذية .. ويغرق أمها فى البيت .. بالسمن والزيت ..

وبعد الزواج ..وترك الباب بلا رتاج .. تجعل الصبية .. من بيتها تكية .. تودع كل يوم حسنية .. لتستقبل ذكية وإنصاف .. ثم يثيرها إحساس العروس .. فيشكها كالدبوس .. فتقفز على أطفال الزوار .. تضمهم إلى صدرها وتبوس ، وتغير فى كل ساعة ملبوس .. وأمام المرآة تتحسس جسدها وتجوس .. وتظل واقفة هكذا بالساعات .. وتفكر فى زوجها وتقول .. هيهات ! ..

ولا تمضى أيام إلا ويكون دبيب الغريزة قد بدأ يزحف فى الخفاء .. ثم يدق ويعلو صوته كالنداء .. فإذا لم تكن الفتاة طاهرة شريفة .. وأمها محصنة

عفيفة .. وكانت قد تزوجت العجوز بعد أن تغامزت عليها (النسوان) .. وتناولت سيرتها بالذى جرى والذى كان .. فتحت ـ الفتاة لنداء الغريزة الآذان .. وفكرت فى إتقان .. وتمكنت من خلق الفرصة .. وتحديد الأوان .. لتلقى شباكها على إنسان .. فى الغالب الأعم واحد من الجيران .. أو عامل فى دكان .. جاء إلى الشقة فى أى طلب .. فوجدته عز الطلب .. فتهبه من مال العجوز .. ما يحتاجه وما لا يعوز .. وتدوم العلاقة .. فى غيبة من رجلها الذاهل .. والذى بفسادها جاهل .. إلى أن يقع بينهما ملل .. أو تطرأ على حياتهما علل .. وهكذا يظل الفساد سائداً .. إن توقف لسبب .. كر عائداً ..

وتنحنح زكريا وتوقف .. وكأنه من سيرة الفساد يتأفف ، ثم قال :

أما إذا كانت الصبية تقية .. ولسمعتها وفية .. حاولت خنق الغريزة .. بالاستغراق فى الأحلام اللذيذة .. فهى تتصور أنها قد تنجب .. وأن رجلاً فى سن زوجها قد يعقب .. وأن ابنها هذا ستتخذ منه حبيباً .. وسيكون غلاماً أريباً .. وسيصبح يوماً طبيباً ..

فإذا مضت الأيام .. وتكشفت الأحلام .. عن أنها أوهام .. شغلت الفتاة الغريزة فى بعثرة النقود .. على الغائب والموجود .. وبارتداء الثياب الغالية .. والكعوب العالية .. وبالتفرج على كل المسارح .. والتردد على أرقى المطارح .. تجر معها العجوز .. وتحس بالحياة .. فتضرب له بوز .. وتشترى سيارة ، وتسافر بطيارة .. وتذهب إلى سباق الخيل ..

كل ذلك أثناء النهار .. أما الليل الذى يوقظ الميل .. فسيحمل لها الويل .. فسعال العجوز يجعلها لا تنام .. وأدبها البالغ يدفعها إلى القيام .. كلما تحرك أو

قام .. ثم تنهار أعصابها .. وتهجر أصحابها .. فيخيم عليها اليأس .. وتنظر إلى حياتها فى بؤس ..

وهى لا تستطيع الطلاق .. ولا التحرر والانعتاق .. لأن العجوز وإن كان يسقمها .. إلا أنه يطمعها .. كما أن أهلها عنه راضون .. بل ومبسوطون .. لايكادون يلتفتون إلى شقائها .. ولا يتساءلون عن علة بكائها .. وقد يتطوع أحدهم .. فيعى أن السبب حسود .. كان فى حفلة موجود .. جايب بعينه النقمة .. لما رآها فى نعمة .. وقد يقترح آخر إقامة زار .. يهز أركان الدار .. يكون بالليل لا بالنهار .. حتى يمكن القبض على كل العفاريت .. ودفنهم فى توابيت..

ولكن واحداً منهم لا يفكر أنها تئن تحت دبيب .. أصبح طرقات .. يحطم من كيانها كل يوم درجات .. وقد تحاول أحيانا النسيان .. والخلاص من الهذيان.. فتتظاهر فى البيت بالإدارة .. وتغطى العواء بالشخص والإمارة .. وإهانة الشغالة .. ومعاملتها كآلة .. واتهامها بأنها آلة عالة .. وقد تحاول أيضاً أن تنضم إلى جمعية .. صحية .. أو طبية ..فتنفق الساعات .. فى سماع التأوهات .. وتضميد الجراحات .. أو فى البحث عن منزل منكوب .. مات أهله تحت الطوب .. أو أن تسافر فى رحلة .. فى الشتاء والوحلة .. ولكن الأكيد .. وهو عندى غير جديد.. أن كل هذه المسائل وجميع المشاوير والمشاغل .. لا يمكن أن تقتل فى الزوجة غريزة الأنثى .. فتظل باقية على فطرتها .. حتى تمل من نظرتها ..

إذا التقت فجأة برجل يحرك منها الأحاسيس .. ويشعل فى أعصابها الفوانيس .. إذ تصبح فى هذه اللحظة غجرية .. تندفع نحوه بلا روية .. ورغم

انعدام العلاقة، تلقى عليه نظرة براقة .. ولكنها لا تكاد ترجع عينيها حتى تفيق.. وتدرك أن هذا لا يليق .. فتشهق فى حسرة .. لأنها كادت أن تنحرف .. وتسرع.. وتنصرف ..

وتمطى زكريا وقال :

**ـ وهذا تفسير دقيق لما وقع لمختار .. ولكنه لم يفهمه .. لأنه بلا مؤاخذة حمار ..**

فأبدينا له الإعجاب .. ونصحناه بتأليف كتاب .. فضحك وقال : لماذا العناء والتعب .. مادام نقاد الفن والأدب .. لا ينقدون إلا بالطلب .. وبشرط أن يكون المؤلف من ذوى الحسب .. والنقود العجب .. أما أنا فلا يوجد غيركم فى العباد.. من يقدرنى فى هذه البلاد .. لو أننى كنت أدعى زكاريكا .. لأصبحت أشهر من لايكا .. أو كنت أدعى زكريا يافسكى .. لامتلأ بيتى بالويسكى ..

وكنت قد تأثرت بما حكى زكريا وقال .. فوقفت وأنشدت فى الحال .. وأنا بالمارة غير مبال :

أذهلْتَنـــا واللـــه يا زكريـــا ورفعـــت رأس المـــرأة
الغجريـــة
وكشفـــتَ أســـرار النســـاء شـريفهـــا
والفهلويـــة
وفضحـــت أهـــداف العيـــون ولمحـــة العشـــق
القويـــة

فـــى مـنطـــق يزهـــو على فهـــم العقـــول
المـستويـــة
فاهنـــأ فأنـــت معظـــم ومكـــرم فـــى الدنيـــا
ديـــه

* * *

# (يقع فى مأزق شديد .. بسب خروف العيد (*))

كنت جالساً مع عيسى بن هشام بعد عطلة العيد .. عندما دخل علينا سعيد ! .. وهو أديب للأسف غير مشهور .. ولم ينشر فى حياته سوى سطور .. لأنه كان موهوباً .. ومن لسانه مسحوباً .. لم يعرف الطريق الحق .. إلى اقتحام الشق ..

فكان لا يقرأ شيئاً إلا نقده فى حرارة .. وعلق عليه فى مرارة .. وأوضح جانب الخطأ فيه .. وقال عليه «إخيه» .. ولما كان من أبرز عيوب الأنام .. نقل الكلام .. وكان الأدباء أكثر الناس حساسية .. وهم فى هذا سواسية ..

وكان النقد فى عالمنا الأدبى مباراة شيقة .. وفى حدود ضيقة .. ليس غير ألعاب ودبكة .. وأهداف فى الشبكة .. ومعظم الذين يكتبون عن الأدب فى الصحف مجموعة .. تابعة وليست متبوعة .. لقلة بضاعتها .. وضعف صناعتها .. وكل منهم يجارى ..ما هو سارى .. فيوافق على أن «فلان» كاتب قصة .. دون أن يلقى على إنتاجه بصة ..

وأن «فلان» كاتب مسرح .. دون أن يحجز مطرح .. ويرى تواليفه ..وتخاريفه .. وأن «فلان» الذى شكله لا يسر .. بل ويضر هو شاعر حر .. مع أنه جاهل ومتعافى .. كسر لعجزه القوافى ..

ومن هنا كانت صراحة سعيد .. هى خطر شديد .. فلم يحاول أحد أن يمد له الإيد .. ولو من بعيد .. وكان إذا توجه إلى مجلة «الصداقة» .. صرفوه فى صفاقة .. واعتذر عن لقائه الأستاذ بهلول .. وهو مدع جهول .. يغطى عريه

---

( * ) عائد من الاخرة ..

العقلى بشهادة .. كما هى العادة .. ويضع على صدر الصحيفة من باب التفخيم.. والتضخيم .. أسماء مشهورين .. سماهم مستشارين .. وألقى عليهم مهمة التحرير والإدارة .. لا للمناقشة والاستشارة .. وأجزل لهم المال .. حتى يستمر الحال..

أما هو فكان يكتفى بوضع توقيعه على كلمات بسيطة .. مكتوبة بكل حيطة .. وترضى جميع الأذواق .. فى شبرا وبولاق .. وكذلك كان الأستاذ جرجير .. سكرتير تحرير .. المجلة الأدبية .. التى توزع ميه .. يقابل سعيد فى تقطيب .. ويعامله فى تعذيب .. ويلقى بإنتاجه فى سلة .. كأنها حلة .. وضعها لحرق الأفكار .. إلى جواره بلا نار ..

وكان يختلق لسعيد كل مرة المعاذير .. لهذا الجرم الخطير الذى يرتكبه عن جهالة .. ونذالة .. فإذا قدّم له بعد ذلك قصيدة متينة السبك واسعة الخيال .. تأسف لعدم وجود مجال ..

وأضاف فى الحال ..أن المجلة تجارى المودة التى سادت ، مع أنها انحسرت وعادت .. ولا تنشر إلا الشعر الذى ليس له قافية .. بلا قافية .. وأن الشعر السايب ليس به صعوبة .. وأن القوافى فى طريق الشعر طوبة .. وإذا قدم له قصة قصيرة .. محبوكة فى بصيرة .. فيها تسلية وفن .. لا تخريف وزن ، وزعه بقوله : إن القصة أعلى من مستوى قراء ، مجلته الغراء ..

وأن واجب الصحافة اليوم .. ألا تتعالى على القوم .. ويجب أن تهبط بمستواها .. ونحن وياها .. ومع مرور الأعوام .. وتبدد الأوهام .. أحس سعيد .. أنه شهيد ..

بل إنه فى الحقيقة تمثال لعظيم حى .. سيقدره الجيل الجاى .. ومثل هذا الإحساس .. بل الوسواس . إذا تملك الإنسان .. خاصة الفنان .. أربك أحاسيسة .. ولخبط مقاييسه ..

وفجأة علت وجه سعيد كآبة .. وانقطع عن الكتابة .. وانكفأ على القراءة.. فكان يسهر فى مطالعة فصول .. كتبتها أرقى العقول .. ولا يذهب فى الصباح إلى الديوان ..إلا ومعه ديوان .. وأعلن أنه يحتقر كافة الأعلام والأفلام..

وكان يحاضر كل ليلة زوجته وبناته .. ويضخم فى ذاته .. وأهمية حياته .. ويطلب من الكبير .. قبل الصغير أن يعامله كأمير .. ويسعى بقدر الإمكان .. لإقناع الأذهان .. أنه ليس محتاجاً لأى مخلوق .. رغم أنه مضطهد مسروق .. ورغم أن مرتبه بالكاد يكفيه .. وأحياناً لا يسقيه ..

وآمن عن يقين ..أن السلف مشين .. وأن مد الإيد ولو على سبيل الفرض.. فى طلب قرض !! يهدر الكرامة .. ويخفض الهامة .. وهى أعز ما يحرص عليه .. وأغلى من عينيه ..

وكان ذلك يكلفه الجهد الشديد .. خاصة فى أيام العيد .. إذ كان قد اعتاد أن يشترى لعائلته كل عام خروف .. سمين معلوف .. وكان يظل طوال العام .. يفكر فى هذا الأمر الهام .. فيدخر كل شهر من مرتبه قروش .. ينقذها من الوحوش .. حتى إذا جاء العيد تشبه بالسادة .. وكرر العادة .. فى سعادة .. واستمع إلى مأمأة الخروف فى اغتباط .. وشاهد أولاده حوله فى انبساط..

ولم يكن يخطر فى باله ذات يوم .. أنه سينكشف بين القوم ..وأن البلاء .. المسمى بالغلاء .. سيوقعه فى مأزق شديد .. بسبب خروف العيد .. وقد شرح سعيد ما حدث لعيسى بن هشام .. الذى كان يصغى فى عجب واهتمام ..

ـ كان قد تجمع فى يدى عشرة جنيهات .. على مدى العام الذى فات .. وعلى الرغم من علمى بالأسعار .. التى أصابها سعار .. فقد داعبنى الأمل أن يكفى هذا المبلغ لشراء خروف .. صغير معلوف .. قليل الشحم .. واللحم ..

ولكنه على أية حال سيحفظ كرامتى وهيبتى .. أمام زوجتى .. وأمام الجيران .. والمعلم سلطان .. الذى يشتغل يا أستاذ فى المقاولات .. ولديه بالات .. وبذبح كل عيد أمام الباب .. وفى جمع من الأحباب ..عجلاً يظل ساعة يترنح ويخور .. ومن حوله الناس تدور .. وتنظر فى إعجاب وتقدير .. لهذا السفاح الخطير ..

ولكننى ما كدت أنزل وأتفقد السوق .. حتى أحسست بالخازوق .. أن العشرة جنيهات غير كافية .. ولا شافية.. وأن أقل خروف معتل .. ووزنه مختل.. وليس ليه ليَّه .. اشترته وليَّه .. بخمسة وعشرين جنيه .. فتملكنى اليأس يا بيه .. وأعملت التفكير .. فى الموقف الخطير ..

وتوجهت إلى درب الجماميز .. حيث تباع المعيز .. وقلت لحمها لذيذ .. وسأقنع زوجتى رغم عقلها الحديد .. أنه لابد من تجديد .. ولكنى فوجئت بأن الموجود .. عدده محدود .. وهى معيز غالية .. وأسعارها عالية ..

وبينما أنا واقف يائس .. تقدم نحوى بائس .. يبدو من مظهره أنه موظف شريف .. ويعمل فى الأرشيف .. ولا يقابله فى الوزارة صاحب حاجة .. ولاأرملة محتاجة .. تسأل عن إذن صرف .. وتمسك فى يدها ظرف .. وبعد أن تبادلنا الحديث حول الهموم .. وأسعار اللحوم .. واقترح علىَّ أن أنفذ ما فعله هو فى الحال .. ثم قال لا فض فوه .. ورحم فى القبر أبوه :

ـ مادامت المسألة فى حقيقتها مظاهر .. فى الدقى وفى الظاهر . والمقصود من جلب الخروف ... كما هو معروف ... هو حفظ كرامتنا من الهوان .. أمام العائلة والجيران .. فلماذا لا تفعل مثلى وتستأجر خروف .. من العم مخلوف ..

إنه لا يبيع الخرفان .. وإنما يسلمها مقابل إيجار .. على أن تعيدها فى العيد فى أول النهار . وكان تفكيرى قد اختل .. فتصورت أن هذا حل .. وقل لنفسى ستلعب الأولاد بالخروف .. وأوفر أنا المصروف .. ثم أشترى فى أول النهار .. كام كيلو من الجزار ..

فعلاً ذهبت للمعلم مخلوف .. وشكله كالحلوف .. فسلمنى الخروف .. بعد أن حررت إيصال أمانة . أننى سأحفظه فى دكانه .. وسأرده من جديد .. قبل صلاة العيد .. ولكن للأسف وقع المحظور الذى لم يكن يخطر على بال .. بأى حال من الأحوال .. ففى ليلة العيد كنت نائما .. وفى الأحلام هائماً .. عندما أيقظتنى زوجتى وهى تقول :

ـ إلى متى ستظل نائماً بلا معنى .. هيا معنا .. نصعد إلى السطوح .. فقد انتهى الجزار الذى ناديته .. من ذبح الخروف وسلخه .. ورفع الفرو وملخه .. وطبيعى أننى أصبت بذهول .. فلم أعرف ماذا أقول..

وقد توجهت إلى المعلم مخلوف .. فلما لم يجد معى الخروف .. ثار وأقسم أنه سيرسلنى إلى النيابة بتهمة التبديد .. حيث توضع فى يَدَىَّ فى الحديد.. وأرسل بعد ذلك إلى اللومان .. بتهمة سرقة الخرفان ..

وهنا انتهى الموضوع .. وفاضت عيناه بالدموع .. فقال عيسى بن هشام.. فى جدية واهتمام ..

ـ إن الإصرار على أى عادة .. يعتبر غباء وبلادة .. وكان الأولى بك أن ترجع فوراً إلى البيت .. وتحكى لهم ما رأيت .. والعاقل اليوم لا يزيد من الهموم.. بالتفكير فى اللحوم .. وعلى كل حال فسأتصل فوراً بصديق كريم ..ينقذك من هذا الموقف الأليم ..

* * *

## (قصة الأستاذ فتوح .. الذى ألقى بنفسه من السطوح (*))

تألمت وأنا أقرأ التحقيق .. الوافى الدقيق .. عن مصرع الأستاذ فتوح .. الذى ألقى بنفسه من فوق السطوح .. وكيف ارتطم جسمه النحيف .. بحافة الرصيف ..

فقد كنت أعرف حكايته .. وأقدر فى الفن كفايته .. فهو الموسيقار الذى طور الموسيقى .. ومزج الصبا بالسيكا .. وهو أول من اكتشف المطربة زكيهْ .. وهى لا تزال وليَّهْ .. متزوجة من علاف .. من الأجلاف .. يذيقها الويل .. وخاصة بالليل ..

وقد حدث ذات مرة .. فى شارع مسرة .. أن وقفت الست زكية أمام الشباك .. وهى تعانى من السهر والإنهاك .. وراحت تغنى بصوتها الأنثوى .. دور: «باحبك قوى» .. فسمعها الأستاذ فتوح .. لأن الشباك مفتوح .. وأدرك ما فى صوتها من حلاوة .. كأنها بقلاوة .. فصعد على السلالم .. وكان العلاف نائم .. وخبط على الباب فى حنان .. لا يعرفه سوى فنان .. فاستيقظ العلاف اللعين .. وأخذ يبحث عن سكين .. ولكن فتوح بعد لحظة هداه .. ودعا ربه فهداه .. واتفق معه على الفور .. وأعطى زكية دور .. فى أوبريت .. «يا حلو طبيت» تألقت بعده زكية فى سماء الفن .. ودار حولها الكلام والزن ..

وكان فتوح فناناً يثق فى نفسه .. لا يتمكن أحد من كبسه .. وقد تآمر عليه وهو حى .. مرسى .. ولطفى .. وعبدالحى .. وكانوا من ذوى النفوس المريضة .. والأسماء العريضة .. استقر لهم الأمر .. ودار حولهم الزمر .. أصبحت

---

( * ) المقامات الأسوانية ..

أسماؤهم مسجلة .. وفى دوائر الفن مبجلة ..

فشنوا عليه حرباً ليس فيها هوادة .. كأنها طروادة .. فمن مقالات تنفث السموم .. لقاء أجر معلوم .. إلى تشنيعات لا تعرف الحدود .. عن الآباء والجدود .. فأبوه كان .. بائعاً فى دكان .. وأمه كانت تغازل الجيران ..

وإذا بدأ عليه لأى سبب الهم .. أشاعوا أنه من الشم .. ولما تشاجر مع زوجته الأولى .. وكانت امرأة كالغولة .. ولم يجد سوى الطلاق كحل .. أكدوا أنه منحل .. مع أن طلاقه من هذه المرأة أزال غمته .. وضاعف همته .. فأقبل على العمل .. من غير ملل .. وشاعت ألحانه فى السوق .. من شبرا لباب اللوق .. خاصة لحن «تعالى عندى ساعة .. شوف قلبى بسماعة» .. أو لحن «من حبك يا بيه .. أنا قلت بُرِّيـــه » ..

وقد واصل فتوح طريقه دون اهتمام .. بمكائد الأنام .. ولكن أحواله ظلت غريبة .. وتصرفاته عجيبة .. فهو لا يقبل عمل الألحان .. لأى كان .. فإذا لم تكن عليه خفيفاً .. وفى معاملته ظريفاً .. طلب منك أن تنصرف ولا تعود .. ورمى إليك النقود .. ولو كانت مئات .. هكذا حتى مات ! ..

ولذلك تقدمت به السنوات .. ولم يقتن الثروات .. كسائر الذين حولوا تلحين الأدوار .. إلى أدوار ، وكان من الممكن أن يعيش فتوح فى هدوء بال .. رغم سوء الحال .. فقد كان الرزق يأتيه .. وعن السؤال يغنيه ..

ولكن الإنسان مهما ادعى العلم .. وتنبأ بالحرب والسلم .. لا يعرف مايأتى به الغيب .. ولا ما سيدخل الجيب .. فقد طرق بابه ذات صباح .. رجل يبدو أنه مرتاح .. يرتدى جاكتة قطيفة .. وله ابتسامة لطيفة .. وقال له : يا أستاذ .. عندى بنت وحيدة .. بالغة رشيدة .. أمها ماتت خطأ بالسم .. فأصبحتُ لها أم ..

تركت من عامين المدرسة .. لأنها تكره الهندسة .. وهى لا تحب فى الحقيقة .. سوى سماع الموسيقى .. وفى رأيها أن العزف على العود .. أجدى من المولود .. وقد اخترتك لشهرتك .. ومعرفتى بقدرتك .. وسأعطيك ما تطلب من مال .. لأنى أعبد «غزال» ..

فطرب الأستاذ فتوح لاسم البنت .. وقبل من أبيها سيجارة كِنْتْ .. وكانت أحواله فى تلك الأيام قد ساءت .. وفاتورة التليفون قد جاءت .. وبها مكالمات زائدة .. الشكوى منها بلا فائدة ..

فوافق على الفور ، وسجل عنوان البيت والدور .. فلما رأى غزال .. اضطرب فى الحال .. وأصيب بما يشبه الإغماء .. وطلب كوب ماء .. فقد كانت غزال فى الحقيقة .. ذات ملامح .. دقيقة .. جميلة الصورة .. كأنها سنيورة .. تتمشى فى الأودة .. كموديل للمودة ..

فلما انتهى فتوح من الدرس الأول .. أعاده من الأول .. ولم تمض عدة دروس .. حتى اتصلت النفوس .. ومن العجيب أن هذه البنت التى خطبها كثيرون .. وكانوا من جفائها يفرُّون .. وفيهم المهندس والمحامى .. والأستاذ التهامى .. هذه البنت أظهرت ميلاً للأستاذ .. وكانت تجالسه فى التذاذ .. وتغازله بالعيون .. حتى أصابه الجنون ..

وكانت تنبعث منها رائحة .. تظل فى الغرفة فائحة .. تخدر أصحاب فتوح.. حين يأتى ويروح .. فلا يرى يدرى وهو ممسك بالعود .. هل انصرف أم لا يزال موجود .. وكاد يوماً يصرح للفتاة .. بسره وهواه .. ولكنه تردد لإحساسه بأنه عجوز كأبيها .. ولا يستطيع أن يكفيها .. إذْ كانت تعيش فى رفاهية .. وحياة لاهية .. تخرج للفسحة ولا تعود .. إلا لدرس العود .. فأصابه الوجوم

والاكتئاب.. وتخلف يوماً عن الذهاب .. فإذا به يراها تجيء .. وإلى ظله تفيء .. وقد غمرت عيناها الدموع .. فلم يفهم الموضوع .. ولكن دهشته زالت.. عندما قالت .. إنها جاءت .. تعتذر عن خطأ لابد قد وقعت فيه .. وترجو أن يكون قد غفره ونسيه .. إذ لا يمكن لغير ما سبب أن يتخلف عن المجيء والقعود .. وإمساك العود .. وكانت رؤيتها فى بيته بلا توقع .. وبكاؤها فى توجع .. قد أذهلاه عن الصواب .. فلم يميز سؤالها من الجواب .. فجأة أحس بالشجاعة .. وهى لا تأتى سوى ساعة .. فى مثل هذه الظروف .. الفنان والحلوف .. إذا أحرقه الهوى .. وعذبه الجوى .. فصارحها بأنه يهواها .. ولا يرى بعد الآن لقياها.. فما جدوى الغرام اليائس .. لرجل مثله بائس ..

وأشار إلى فارق السن الكبير .. وطلب دفن السر فى بير .. فإذا بفتوح يفاجأ بما ليس فى الحسبان .. ولا يدور فى خلد إنسان .. فقد ارتمت على صدره غزال .. وهى تشهق فى الحال .. وتبكى وتقول .. موش معقول .. لقد كنت أنتظر هذا التصريح .. فقد زاد بى التبريح .. إنك قد عرفت الهوى .. وأنا ذقت الجوى ..

فلم يصدق أذنيه .. ولم ير بعينيه .. وجلس فى صمت وامتثال .. كأنه تمثال .. ثم أفاق وقال فى جنون .. ولكن أباك .. الذى رباك .. ماذا أفعل معاه.. وكيف أتصرف وياه .. يالها من أزمة .. لم يكن لها لازمة .. فنظرت إليه فى عتاب .. فأدرك أنه عاب .. وأطرق برأسه .. من فرط يأسه .. فقالت له :

ـ لا تشغل بالك بهذا الموضوع .. فكلامى أنا مسموع .. وأكدت أن أباها فى يدها كالطوق .. ترميه من تحت لفوق .. وفعلاً لم تمضِ أيام على إعلان الغرام المشبوب .. حتى دخلت على أبيها المحبوب .. فى عزم .. وقالت له

فى حزم .. سأكلمك بالمفتوح .. زوجنى من فتوح .. إننى أهواه .. ولن أتزوج سواه .. فظن الرجل أنه فى حلم .. إذ لم يكن له بهذه العلاقة علم ..

لكنه وإن ظهر عليه الامتعاض .. لم ينطق بكلمة اعتراض ..وكان يعلم أنها عنيدة .. منذ كانت وليدة .. فذهب يسأل ويستشير .. ومن هذا الغرام يستجير ..فوقع على الأستاذ حندوس .. طبيب النفوس .. فلما سمع الحكاية .. من البداية .. هز رأسه فى تصميم .. وأدلى بالقرار الأليم .. إن غزال واقعة فى حب فتوح لا محالة .. ولا داعى للعجب من هذه الحالة ..

فالبنت البنوت .. لو ضربوها بالنبوت .. أحياناً لا تحب الشبان وإنما الشيوخ.. وإذا رأتهم تدوخ .. وهذه نظرية قال بها فرويد النفسانى .. عن غرائب القلب الإنسانى .. وابنتك مبهورة بشيبه .. ولا ترى عيبه .. فلطم أبوها على الخدود .. وامتثل للموعود .. فاشترى للعروسين شقة بثمن غال .. فى دور عال.. عاش فيها فتوح بضعة شهور .. وهو ذاهل مبهور ..

وكان يبذل الممكن ويحاول المحال .. فى كل ناحية ومجال .. لإرضاء غزال .. ولكن صحته بدأت تعتل ، وقوى عقله تختل .. وزادت حيرته .. فاشتدت غيرته .. وكان يمنعها من نزول السوق .. ويتبعها سراً إلى باب اللوق .. وإذا دخلا السينما أو المسرح .. حجز أبعد مطرح .. وراح يتلفت حوله فى جنان .. خشية الشبان .. فلما أفاقت غزال .. وأدركت أن القدر سهم ..وأنها تعلقت بوهم .. أخذت تبدى له ألوان النفور .. وتغلى لأقل سبب وتفور ، وفاجأته ذات صباح .. وهو نائم مرتاح .. بأنها تريد الطلاق .. والتحرر والانعتاق .. وأنه لا يصح أن تنقلب الغلطة إلى ورطة .. وطلبت منه استدعاء المأذون فى الحال .. فأصاب عقله زلزال ..

وبعد لحظات صعد فتوح .. وألقى بنفسه من السطوح .. وقد رأيت من واجبى أن أرثيه .. إذ ليس له قريب أعزيه .. فنظمت هذه القصيدة .. وهى فى المراثى جديدة ..

***

«قصيدة رثاء الأستاذ فتوح .. الذى ألقى بنفسه من السطوح»

ألقيتَ نفسك من سطوح شاهق ... وأشعت روح الرعب فى السكان
وهويتَ كالسكير الثقيل فجاءة ... من غير ما صوت ولا إعلان
فتعطلت حال المرور ، وعسكرت ... حول الرصيف مواكب النسوان
غطوا جبينك باللحاف وصوتوا ... فأتت إليك خلائق فى ثوان
من قائل : هذا حرامى فاشل ... لَمَّ الغسيل وفاجأته «تهانى»
أو قائل هذا عشيق هارب ... من بطش زوج ثائر البركان
ما للشيوخ والغرام فإنما ... خُلِقَ الغرامُ لِمُتْعَةِ الشبان
يجرون خلف الحب فى ميدانه ... من غير ما تعب ولا نهجان
وإذا المشيب بدا برأسك كلها ... فابعد عن الوزات والغزلان
واقنع بحب عجوزة كركوبة ... تخفى عليك طواقم الأسنان

***

# (قصة حندوس (*))

كان أمل (حندوس إبراهيم) الوحيد فى الحياة أن يصبح مشهوراً .. يجرى اسمه على ألسنة الناس .. وتشير إليه المارة فى الطريق .. وقد بدأ حياته موظفاً من عشرين عاماً فى وزارة الأوقاف ، ولكنه لم يمكث فى الوظيفة إلا بضعة شهور .. فقد انتهز حندوس فرصة وداع موظف كبير مُحال إلى المعاش .. وحضرها بلا دعوة .. وانتصب واقفاً يعدد أخطاء الوزارة .. فكان جزاؤه الفصل فى اليوم التالى مباشرة !!

وقد تلقى «حندوس» هذا الجزاء فى أول الأمر فى ذهول .. ولكنه لم يلبث أن حوله إلى وسيلة للإعلان عن نفسه .. فراح يمطر الجهات المسئولة تظلمات أبرزها فيها اسمه الذى كان يكرره كل ثلاثة سطور !! ..

ومضى يدور على المقاهى وينتحل أى سبب لمجالسة الغرباء ، ويشترك معهم فى أى حديث ، ثم يدلف إلى قصته فيرويها ويضيف إليها تفاصيل لم تقع ..

فبعد أن كانت القصة لا تعدو أنه وقف خطيباً بلا استئذان .. أصبحت تتضمن حواراً رائعاً بينه وبين الوزير - ولم يكن قد حضر الحفلة - وكيف أن الوزير اقتنع فى نهاية الأمر بآرائه ، وسلم بها أمام الجميع ! ..

وبعد عدة جلسات فى مقاهى السيدة زينب وعابدين . أضاف إلى الحوار المزعوم مشاجرة نشبت قبل انتهائه من كلمته .. فقد حاول أحد المنافقين إسكاته .. ولكن الحاضرين الذين ألهبتهم كلمته ثاروا فى وجهه وحملوه وألقوه خارج قاعة الحفلة ..

---

( * ) رجل من الأمس ..

المهم أنه لم يمض عام .. حتى كانت الجملة المشئومة التى ألقاها (حندوس) قد تحولت إلى قصة طويلة تصلح مسلسلة إذاعية ..

وكان حندوس إذا تحدث تكلم دائماً عن نفسه بضمير الغائب ..

فلم نسمعه قط يقول (أنا أريد) .. وإنما يقول .. حندوس إبراهيم يريد كذا .. أو حندوس إبراهيم سيفعل كذا ..ولم يعد حندوس إلى الوظائف .. فقد كان يملك عن أبيه منزلاً يدر عليه مبلغاً يكفيه ويزيد .. وقد تزوج بعد عام الفصل ..

وعرفت نبأ زواجه من الصحف ، إذ كنت أعمل وقتها بالإسكندرية .. فقد نشر حندوس صورة آنسة حسناء أكدت تحت صورتها أنها تزوجت حندوس إبراهيم

وعندما التقيت به بعد ذلك عرفت أنه اشترى من هذه الصحيفة مئات الأعداد وقطع الصورة ووضع خطاً أحمر تحت اسمه ، وأرفق الصورة ببطاقات الدعوة .. أما فى ليلة الزفاف فقد سره أن يكون موضع اهتمام الناس ورفض أن ينفض الحفل قبل الفجر .. وقد انتقل من الكوشة ليقنع عسكرى الدورية بأن السهر ليس محظوراً على الأفراح .. وقال له فى صوت عال سمعه جميع المدعوين :

**ـ قل للمأمور .. الليلة فرح حندوس إبراهيم .**

وكان يعجب بالفنانين ويحسدهم .. فهؤلاء هم الذين يظفرون من الشهرة بأوفى نصيب .. وقد حاول أن يظهر على شاشة السينما أو حتى شاشة التليفزيون.. ولكن أحداً لم يساعده وقد أفهموه أن التمثيل موهبة ودراسة .. ولكنه كان مقتنعاً أن المسألة حظوظ وعلاقات .. وأن فى مكنته أن يمثل ويؤدى

بسهولة أدوار محمود المليجى بالذات ! ..

وكان يحتفظ بالمقالات التى تهاجم الوسط الفنى ، والشلل التى يخدم بعضها البعض .. ويقرؤها على زواره فى حماس شديد . فإذا وجد آذاناً مصغية أشار إلى محاولاته العديدة لاقتحام ميدان التمثيل ..

وقد يتمادى أحياناً فيلقى مقطوعة تمثيلية فى اندماج شديد يدهش الحاضرين .. فإذا كانت القطعة درامية مفجعة .. انتابه تشنج حقيقى وهطلت الدموع من عينيه .. فتغشى الزائرين كآبة لا تزول قبل ساعات .

ولما يئس (حندوس) من أن يصبح ممثلاً .. اكتفى بالإعجاب بالممثلين وراح يرسل إليهم خطابات عديدة على ورق مصقول مطبوع فى أعلاه بحروف بارزة (حندوس إبراهيم) وقد أطلعنى على واحد من هذه الخطابات فوجدته محشواً بالملق والرجاء أن يرسل إليه الممثل الكبير صورته ..

وقد تعطف عليه البعض بالفعل وأرسلوا صورهم فحملها فى الحال إلى مصور ماهر لصق صورة (حندوس إبراهيم) إلى جوار كل صورة بحيلة فنية بدا فيها حندوس كأنه زميل أو صديق الفنان المشهور ..

وكان يذهب إلى الأفراح الشهيرة بلا دعوة ويحتال على دخولها بأى وسيلة ولو بدفع رشوة .. ويصافح كل من يقابله من المدعوين محنياً رأسه قائلاً فى ابتسامة عريضة (حندوس إبراهيم)

أما فى المأتم فقد ينتقى من عمود الوفيات أشهر وأهم الذين انتقلوا إلى الحياة الأخرى ، ويعرف العنوان ويسارع إلى السرادق ، ويدخل متجهماً ، أو باكياً ، ويعانق أهل المتوفى فى حرارة .. وقبل أن يفيقوا من دهشتهم يهمس فى

حزن (حندوس إبراهيم) .. ثم يتقبل العزاء فى المتوفى من جميع المعزين ..

وقد واتته مرة فرصة فريدة للشهرة عندما كان يطل ذات صباح من شرفة مسكنه .. فأبصر المارة وهم يجرون ويصيحون : (حرامى) !.. فتخيل نفسه وقد قبض على اللص .. ونشرت الصحف صورته .. ولم يضيع لحظة فاندفع بالبيجاما يجري حافياً ، و لكن اللص للأسف كان قد قفز في إحدي مركبات الأتوبيس.. و فكر ذات ليلة في اقتحام ميدان الكتابة لا لأنه ميسور .. يصعب فيه تمييز المدعى من الأصيل ، و إنما لاقتناعه بأنه روائي يملك الخيال و الأسلوب ..

وعجب كيف لم تواته فكرة الكتابة من قبل .. و لكن لكل شيء أوان .. و قد غزته هذه الفكرة و هو راقد على ظهره يتهيأ للنوم .. فقفز فى الحال من الفراش و ذهب فاشترى كراسة من كراسات التلاميذ .. وجلس فدخن سيجارة و شرب كنكة قهوة ، و بسط الكراسة و أخذ يحدق فيها ساعات دون أن يفتح الله عليه بكلمة واحدة ! ..

وراح العرق يتصبب منه .. فقام و فتح النافذة ، وأطفأ النور و مضي يفكر فى الظلام .. وقال (حندوس إبراهيم) لنفسه .. ليس مهماً أن تبدأ الكتابة .. المهم أن تعثر علي الفكرة .. لابد من غزو الميدان الأدبى بقصة فذة لم يسبق لها مثيل ..

وعند الفجر وفقه الله إلي قصة بديعة .. « إنها قصة فتاة مسكينة جار عليها الزمان .. فقدت أباها وأمها .. تشتغل خادمة لدى عائلة قاسية تطردها بلا سبب .. فيراها أحد الأثرياء وهى تخطر فى ثوبها الممزق ، ولا بأس أن تكون حافية فهذا أدعى إلى التأثير فى نفوس القراء ..

و يقع الثرى فى غرامها لأول وهلة و يعرض عليها الزواج .. و هنا يرى

(حندوس) أن مقدمة القصة عادية .. و يفكر فى خاتمة غير عادية .. أى أن قصاصا فى العالم سوف يتم القصة علي أساس « أن الفتاة سوف تذهل من العرض .. و قد يغمي عليها و يرتطم رأسها بالرصيف ، ولكنها لا تلبث أن تفيق لتوافق على الزواج» ..

أما (حندوس إبراهيم) فيقدح ذهنه ، وينتهى إلى أن الفتاة تقبل الزواج بشرط واحد .. أنها تؤمن بمبدأ المساواة بين الجنسين .. المساواة فى كل شىء .. و ما دامت هى فقيرة فهى لن تقبل الزواج من الرجل الثرى إلا إذا تبرع بأمواله إلي إحدى جهات البِّر حتى يصبح فقيراً مثلها .. و يوافق الرجل متأثراً بعاطفته المشبوبة ، و يبدأان معاً شهر العسل علي الكفاف .. و يبتهج حندوس لتوفيقه..

ويسوِّد القصة فى الكراسة على عجل .. وفي الصباح يدفع جنيهاً لكتابتها على الآلة الكاتبة و يضع اسمه بالأحمر.. فى المقدمة والنهاية .. و يرمقه كل لحظة بإعجاب .. و في المساء يحملها إلي مجلة (الفن) .. و يدخل إلي رئيس التحرير.. و هو رجل بدين ماجن .. ولكن لا يخلو من موهبة .. و يتصفح قصة حندوس بسرعة ثم يبتسم و يقول .. هذه قصة خيالية ..

**ـ ممكن أن تقع ..**

**ـ إذا وقعت سأنشرها ..**

و لم ينم حندوس ليلتها .. تخيل القصة منشورة و في وسطها رسم جميل يبين الثري و هو ينحني في هيام علي الفتاة الحافية و يعرض عليها الزواج .. أما اسمه فقد تلألأ في وسط الصفحة (حندوس إبراهيم) تري ما هو أبرز نوع في الخطوط .. الكوفي .. الثلث .. الرقعة .. لا .. لا .. إن الرقعة رفيع .. و الكوفي

غامض متشابك .. أما الثلث فهو أصلح خط لكتابة (حندوس إبراهيم) ..

ماذا قال رئيس التحرير (إذا وقعت سأنشرها) .. يا له من رجل ساذج .. لابد أنها وقعت .. الحياة مليئة بالغرائب .. و مع ذلك فهذه ليست قصة غريبة .. إنها ترتكز على مبدأ المساواة بين الجنسين .. إن الفرصة أمامه .. ما عليه سوى أن يثبت أن القصة قد وقعت ..

ومضي حندوس في نشاط جنوني يسأل معارفه وأصدقاءه عن حالات زواج .. فتبرع فيها الزوج بأمواله لجهات الْبِرِّ ليتمكن من الزواج من فتاة فقيرة .. و للأسف لم يعثر علي حالة واحدة ..

وانتابته هستيريا حادة .. فكان يسأل الناس في الأتوبيس و المقهي دون أن تكون له بهم صلة .. و استمع إليه أحد أصدقائه في إخلاص ونصحه بالبحث عن هذه الحالة في الريف .. لأن أهل الريف أقل أنانية من أهل المدن ..

وسافر (حندوس) يطوف الدلتا .. و مضى إلى القرى والدساكر يتلمس القصص من أفواه الجالسين على المقاهى أو على المساطب.. ثم سافر إلى الصعيد،و مكث أياماً على نفس الحال ، و لكنه ـ و لعجبه الشديد ـ لم يسمع بقصة واحدة مثل التى كتبها و قدمها إلى مجلة الفن .. و غشته الكآبة وامتنع عن الطعام أياماً حتى أصابه هزال ، و زاغت عيناه ، وثقل سمعه ..

و قد حاولت زوجته أن تعرف السبب و لكنه لم يفصح لها عن شيء .. وفى الأحلام كانت تتراءى له مجلة الفن و قد نشرت قصته فى قلب صفحاتها بالألوان و اسم (حندوس إبراهيم) يتلألأ كالنجم المضيء ..

وفجأة أصابه انهيار وضيق من هذا الذى يعانيه ! .. وكاد يقنع نفسه بعدم أهمية الموضوع كله .. ولكنه سرعان ما تذكر أن بدايته فى بداية أديب

عظيم ! .. لابد أن توجد أمامه عقبة .. .. ولابد أن يتخطاها .. وقد ظل حندوس ساهراً ليلة كاملة محدقاً فى سقف الغرفة ..

وفى الصباح بدا عليه تفكير عميق وارتدى ملابسه على عجل وهبط حندوس و هو يجوب ميدان السيدة زينب و يتفرس فى وجوه النساء البائسات الملتفات حول المسجد الكبير .. و اقترب من فتاة هزيلة ليس فى وجهها سوى عينين واسعتين .. ترتدى ثوباً ممزقاً .. و تحمل فى يدها كوزاً ..

**ـ اسمك ؟**

**ـ وعد ..**

**ـ تزورين السيدة ؟**

**ـ بل أبحث عن عمل .. طردتنى سيدتى بلا سبب ..**

و عرته هزة فرح .. وأمسك بيدها فى رفق .. فسارت معه فى دهشة .. وعلى دكة خلف المسجد جلس (حندوس) .. و طلب للفتاة شاياً ..

وبعد يومين بالضبط ـ وكان قد مضى على تسليمه القصة إلى مجلة الفن زهاء شهرين قضاهما فى الدلتا و الصعيد .. دخل حندوس فى سرعة على رئيس التحرير وحياه فى حزم ثم وضع على مكتبه ورقتين ..

**ـ ما هذا ؟**

**ـ وثيقة زواج ..و وثيقة تنازل عن أملاك .**

**ـ وما شأنى ؟**

**ـ ألا تذكرنى ..أنا حندوس إبراهيم ..مؤلف القصة التى وعدت بنشرها إذا كان لها ظل من الواقع .. قصة الثرى الذي تنازل عن أمواله**

ليتزوج خادمة ؟

ـ آه .. تذكرت .. وهل ؟

ـ وقعت فعلاً .. و هذا عقد الزواج .. و تنازل عن الأملاك ..

ـ عجيبة .. و من الزوج ؟

ـ حندوس إبراهيم ..

* * *

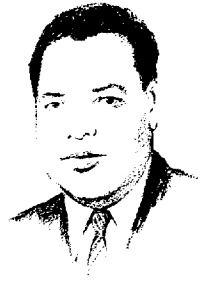

## (ليس لها رأس و لا ذيل .. و تنهمر كالسيل(*))

* ذهبت بعد أيام لزيارة عيسى بن هشام .. فى مكتبه بمجلس الفنون .. فإذا به جديد مدهون .. يشرح الصدر .. ويرفع القدر .. و بعد أن تناولنا القهوة .. سألنى على سهوة :

**ـ أين الأستاذ العقاد ؟ لماذا لا أري له مقالاً في أي جريدة .. من أيام عديدة .. هل كف عن الكتابة .. أم غشته الكآبة ..**

فلما عرف أنه توفي من سنتين ، تنهد في أنين ، و قال :

**ـ لا شك أن وفاته خسارة .. لأنه كان صاحب عبارة و جسارة .. وكان يضع الكاتب قريباً من الرسول .. لابد أن يبلغ و يقول .. و أن ينير السبيل .. حتى و لو سقط قتيل .. وقد كنت قبل وفاتى أذهب إلى داره مرة كل أسبوع .. وأناقشه فى أى موضوع ..**

فقد كان رحمه الله موسوعة .. حية و ليست مطبوعة .. لا يوجه إنسان إليه سؤالاً .. إلا و أجاب حالاً .. لأن محصوله هائل .. في مختلف المسائل .. وكان يجيب فى جلسة واحدة .. و الناس على ذلك شاهدة .. على أسئلة متنوعة.. لا يربطها رابط .. بعضها راقٍ وبعضها هابط ..

فيتعرض للمذاهب السياسة .. والحريات الأساسية .. ويشرح كيفية صنع الفطائر .. وقصة الهولندى الطائر .. وتاريخ كرة القدم .. وعلاقة الفوضوية بالعدم .. والصوفية بالندم .. وكل ذلك دون أن يستعين بمرجع .. أو ينقل من موضع..

(*) عائد من الآخرة ..

فقلت على الفور .. حتى لا يفوتنى الدور ..

ـ هذا صحيح .. و قد عرفته و أدركته .. ولا تنسى صلابته فى الحق، أو ما يعتقد أنه الحق ، كان لا يثنيه عنه وعد .. ولا يخفيه وغد ..

و فى هذه الأيام التى أتيحت لنا فيها حرية القول .. بعد الكبت و الهول .. و بعد أن أعلنت الحكومة مراراً و تكراراً .. أنها ترحب بالنقد و التوجيه .. بلا قذف ولا تسفيه .. ما أحوجنا إلى العقاد و أمثاله .. و من ينهج على منواله .. فيوضح المسالك .. و يحذر من المهالك .. لا يبتغي من وراء كلامه المطبوع .. إلا صالح المجموع ..

وصدقنى يا عيسى .. أننى لا أقرأ هذه الأيام إلا قلة من الكتاب تعد علي الأصابع .. ثلاثة وليس لهم رابع .. لأن الباقين يكتبون فى السياسة .. بلا فهم ولا حاسة .. وتقتصر أقلامهم على الترتيل والإشادة .. والشعارات المعادة .. أو على مقالات حامضة .. أو غامضة .. ليس لها رأس ولا ذيل .. ومع ذلك تنهمر كالسيل .. وتمر بعينيك فيها على كل سطر .. وفى سرعة كالقطر .. فلا يقف عند معنى .. أو مغزى ..

و إنما هى للأسف حروف مطبوعة .. و أسماء موضوعة .. و صور ملطوعة .. و العجيب أن معظم هؤلاء يحترفون الكتابة .. و يجلسون على مقاعدهم في مهابة .. فإذا أعطاهم صاحب الفكرة مقالاً .. لم يجد لنشرها مجالاً .. و هم أساتذة فى الإزاحة .. دون زجر ولا إباحة .. يقابلون بأحسن لسان.. كأنهم باعة فى دكان .. و لكنهم بعد ذلك لا يجزونك إلا بالتأجيل .. وبعده تأجيل .. أو تعليل.. حتى تيأس من طريقهم و تميل ..

و بينما أنا مستغرق فى كلامى .. و عيسى يصغى أمامى .. دخل أحد السعاة .. فى تضجر و أناة .. لأن السعاة فى هذه الأيام .. يكرهون الحركة والقيام.. و اقترب الساعى ، و همس فى أذن عيسى قائلاً :

ـ سيدة تقول إنها تريد ابن هشام .. لأمر هام .. فأمر عيسى بإدخالها فى الحال .. و تملّكه الانفعال .. و بعد لحظات دخلت إلى الغرفة .. من الباب المجاور للشرفة .. سيدة عجوز .. منخارها كالكوز .. محنية الظهر .. من قسوة الدهر.. بدا من إرهاقها أنها جاءت علي قدميها فى الطريق .. و من ملابسها أنها تعانى الضيق.. فبان على وجه عيسى العجب .. و إن ظل صامتاً فى أدب.. واقتربت المرأة ، ثم صاحت فى صوت عنيف .. لا يتفق و مظهرها الضعيف :

**ـ عيسى .. ألا تعرفنى .. أنا حميدة ..**

فعرت عيسى هزة شديدة .. و صاح صيحة فرح هائلة .. للقائه بربة العائلة .. و أقبل عليها فاحتضنها من الشوق .. و أطبقت هى عليه كالطوق .. وانهمرت من الاثنين الدموع .. كأنها ينبوع ..

و أنشد عيسى يقول :

**و قد يجمع الله الشتيتين بعدما  يظنان كل الظن أن لا تلاقيا**

و التفتت حميدة نحوى و نظرت فى ارتياب .. فقال لها عيسى .. اطمئنى .. إننا أصحاب .. و قام و أغلق الباب .. ثم قال :

**ـ هذا صديقى الأسوانى ، الذي فى المقابر جانى ، و تسبب فى خروجى من القبر .. بعد أن فرغ منى الصبر .. و هو يصحبنى الآن .. فى كل مكان .. فبان على حميدة الاطمئنان .. و قالت :**

ـ لم أصدق ما قالته لى الجماعة .. أنهم سمعوا صوتك فى الإذاعة ، وقلت لنفسى : هل هذا معقول .. لم يحدث ولا فى بلاد المغول .. ثم كيف يعود عيسى من القبور .. مع أنه عاقل صبور .. ولم يعد فى الدنيا سوى الهم .. والغم .. ولكننى بعد أيام ، سمعت من الست أحلام .. أنها قرأت خبر تعيينك بمرتب مضمون .. فى مجلس الفنون ..

و لم أكن قد سمعت طوال عمرى بهذا الاسم .. لا فى النيابة و لا فى القسم .. فرحت اسأل عن المجلس فى كل مكان .. حتى دلنى إنسان .. وأعطانى العنوان .. و أحب أن أقول لك يا عيسى قبل أى كلام .. و حتى نعيش فى سلام .. إننى تزوجت بعد وفاتك ..

فصاح عيسى فى حسرة شديدة :

ـ هل يجوز هذا يا حميدة .. و الله لقد أحسست بالغيرة .. من مجرد السيرة .. ألهذا السبب كنت لا تزورينى فى قرافة الإمام .. حيث كنت أنام .. من ثلاثين عام .. لقد بطل الآن العجب .. لأني خمنت السبب .. و لأن النساء ـ كما سمعت من الأموات ـ لا يصبرن على عدم الزواج .. ولا فى القحط ولافى الرواج ..

فغمزت العجوز بعينها غمزة .. و بدت كالعنزة .. و قالت فى دلال.. والله عال ، هل كان من الممكن أن تظل حميدة .. طوال هذه المدة وحيدة .. هذا إلى جوار أن الرجال لا يتركون امرأة فى حالها.. إذا أعجبهم جمالها ..

و قد ظللت أرفض الزواج خمس سنين .. حتى عطفت على شاب مسكين .. أقسم إذا لم يتزوجنى فسيقدم على الانتحار .. و فى وضح النهار .. وللأسف لم أكن معه سعيدة .. لأنى كما تعرف عنيدة ..

و قد ظن أننى سأخضع لشبابه .. فلعنت الذى جابه .. و هدَّدته بالطرد من البيت .. و ألقيت عليه مرة زيت .. فلان معى بعد الشدة .. تماماً كالعدة .. إذا زرجنت فى إيديك .. اسم الله عليك ..

و ضقت بهذيان هذه الولية .. لكننى فكرت فى تمهل و روية .. و منعت نفسى من أن أتدخل .. حتى تبقى علاقتى بعيسى ولا تتخلخل .. لأن الحب عند الرجل مهم .. و يعمى و يصم ..

فعلى الرغم من أن حميدة أصبحت كركوبة .. و في رأسها أوبة .. إلا أننى لمحت عيسى يسمع إليها و هو يتنهد .. و أحياناً يتشهد .. و كأنه يجالس فتاة عليها القيمة .. أو فاتنة سيما .. و أنشدت بينى وبين نفسى :

و شـــابَ بنُـو لَيْـــلَى و شـــابَ بنُـو ابْنِهـــا
وصَبْوَةُ لَـيْلَى فـــى الفـــؤاد كمـــا هِيـــَا

* * *

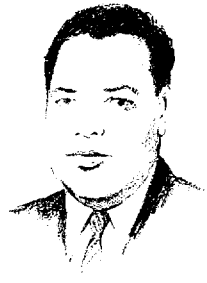

# (الأستاذ شراعة .. يؤلف للإذاعة(*))

كنا جلوساً فى مقهى الفيشاوى .. نتفرج على أعمال الحاوى .. فدخل علينا الأستاذ شراعة .. و جلس صامتاً ساعة .. فلما سألناه كيف الحال ؟ .. وما الذى شغل الباب ؟ .. تنهد فى قنوط و أقلع عن السكوت .. ثم تدفق يحكى .. وكأنه يبكى .. وقال :

ـ منذ فطمت عن الرضاعة .. وأنا مولع بسماع الإذاعة .. ولا زلت أذكر استمتاعى العجيب .. بنهاية « الوحش الرهيب » .. و شدة رعبى من مسلسل «حبى» .. فلما دارت الأيام .. و أصبحت من حملة الأقلام .. دفعتنى الغواية .. واستبدت بى الهواية ، أن أكتب للإذاعة .. قصة لطيفة .. ذات مواقف ظريفة .. تكون ذات حبكة ، و ليس لها ربكة ..

إذ كنت لاحظت فى السنوات الأخيرة .. أن معظم تمثيليات البرنامج العام، من تأليف العوام .. وإن تغطى بعضهم بدبلوم . لا يساوى رطل حلوم .. و كنت أسمع التمثيلية ، فأصاب بغثيان كأنها تقلية .. وأكاد أنادى عسكرى الداورية .. فالموضوعات معظمها مكرر تافه .. يكتبه مريض بالجهل أو نَاقِهْ .. أما الحوار فإن المؤلف يرصه .. وفى أُذُن المستمع يطسه .

إلا أن رغبتى ظلت مكبوتة .. إلى أن سمعت يوماً حدوته .. تدعى «حلبية» .. لا أذكر اسم مؤلفها البلية .. فأصابنى الغيظ .. وكنا فى شدة القيظ .. فغلى دمى وفار .. وتحرك ضميرى وثار .. وقلت لنفسى ما هذا يا شراعة..؟ لماذا لا تقوم الساعة .. وتؤلف تمثيلية .. يكفى هذه السلبية .. ؟

---

(*) المقامات الأسوانية ..

إن التمثيليات ليست بالوقف ولا بالحكر .. ولا مقصورة على أهل الذكر .. وإنما هى حق مشاع ، لمن يملك جلب الأسماع .. ونقد الأوجاع .. وتحقير الأطماع .. مع بث روح الإنسانية .. و توكيد المعانى الاشتراكية .. كل ذلك فى فن و لباقة .. دون إقحام و لا حماقة ..

خلاصة الكلام ، يازملائى الكرام .. أننى أخلصت النية .. واستشرت زوجتى علية .. فإذا بها تشجعنى على الكتابة .. علها تخلصنى من الكآبة .. إذ كان قد عرانى بعد الزواج وجوم .. ظنت المسكينة أنه لن يدوم ..

وفى المساء حبست نفسى فى غرفة .. وأغلقت الدرفة .. وكنت قد سمعت من رجل موثوق .. ويسكن فى باب اللوق .. أن طعام البحر مفيد للكتاب العباقرة .. البيض منهم والزناجرة .. لأن به فسفور .. هو للمخ موتور .. يجعله يدور ..

فجعلت عشائى سمكة .. وشربت بعدها كنكة .. فأصابنى الأرق .. وانكفأت على الورق .. حتي سال منى العرق .. و رحت أُبَيِّضُ و أُسَوِّد .. وفى أسلوبى أُجَوِّد .. و أخذت أحدث نفسى كالمجنون .. و أحملق فى السقف كمدمنى الأفيون ..

و فجأة تكاثرت علىَّ الأفكار .. كأنها عصبة أشرار .. هذه من خلفى وتلك من قدامى .. و الثالثة لا تتفق و مقامي .. و رحت أعانق فكرة و أهجرها.. و أبدأ قصة و أتركها .. فإذا طرق الباب واحد من الأهل .. هجت كالثور و رميته بالجهل .. و قلت لهم بالله دعونى يا سادة .. و أحضروا القهوة السادة ..

كل ذلك فى انتظار الإلهام .. الذى بدا كأنه قد قام .. غير أن خبرتى بالوحى كانت عميقة .. و أُدرِك أنه يهبط فى آخر دقيقة .. فانتظرت بلا قلق ..

وعدت من جديد إلى الورق .. وترامى إلىّ أذان الفجر من بعيد .. من مؤذن سعيد .. قد شبع من النوم ، فقام يحث على الصلاة القوم .. فدعوت الله فى إخلاص .. بعد تلاوة سورة الإخلاص .. وقلت فى صوت باك .. وقلب شاك.. يا رب .. أنت تعلم عجزى و يأسى .. وانحلال قدرتى وبأسى .. يارب..

لقد تأخر الإلهام .. و لا يمكن أن أنام .. فهب لى من لدنك فكرة .. تتضمن عبرة .. لم يسبق بها مؤلف .. و لم يطبعها مصنف .. تفتح باب الإذاعة .. لعبدكم شراعة .. و لم أكتف في دعوتى بالنثر.. و إنما أكدتها بالشعر .. فقمت و أنا بهذه الأبيات أترنم .. و من تأخر الوحى أتألم ..

**يـا رب هـذى ضراعـة مـن عبدكـم قراعـةْ**
**فـى ساعـة الفجـر الندى و إنهـا لأبر ساعـةْ**
**فهـو الأديـب الحـق موهـوب الصناعـةْ**
**أُحْشُـرْهُ بيـن ذوى المكاسـب و الشفاعـةْ**
**و اكتـبْ لـه رزقـاً بأبـواب الإذاعـةْ**

و يبدو أن السماء .. أجابت الدعاء ؛ إذ أحسست على الفور.. بالصفاء وأومض الإلهام كالنور ، و شعشع مخى كالبللور ، فانهمرت الأفكار كالسيل .. حتى هدت الكتابة منى الحيل ..

ونظر قراعة ، إلينا .. فأسعده أننا نتابعه ، ولا نقاطعه فاستطرد يقول : ووقفت و الله يا سادة .. لفكرة غير معتادة ، تدور عن فتاة لامعة .. أحبت زميلاً لها فى الجامعة ، أحس هو بنارها فى الضلوع .. و شاهدت هى فى عينيه الدموع .. ولكنهما كانا يخجلان .. وعن حبهما لا يعلنان إنما اكتفيا .. بتبادل الشرر، عند لقاء النظر.. وإلقاء السلام بالابتسام ، وسماع المحاضرة فى انسجام..

وكانت هى تسير أمامه عن قصد .. وهو يتبعها عن بعد .. حتى لايكتشف أمرهما عزول ، أو عاشق مذلول .. أو أن تراهما فى الطريق عانس ، صدرها يابس .. فتذهب إلى أم إحسان ، فى حلوان .. و تبلغها ما رأت .. هذا إذا اكتفت ، لأنها فى العادة لابد و أن تزيد فى الحكاية .. و تبالغ فى الرواية ..

و لكن الفتى كان فائض الإحساس ، فتملكه الوسواس .. و خشى إن هو انتظر النجاح ، أن يفوز غيره بعقد النكاح .. فهرع إلى أبيها علوان .. و هو معلم فران ، وعرض عليه أن يكون لابنته بعلاً .. و لحماته بغلاً ، و لكن المعلم علوان المأفون ، كان له نوبات جنون .. فتملكه الشيطان ، و رأى فى الطلب قلة أدب .. فصاح في غضب :

**ـ أنت يا عزيز تلميذ .. أبوك يعطيك المصروف ، و يطعمك كأنك حلوف ..**

فغشي الفتى الذهول ، و بدا كالطير المبلول .. و قال :

**ـ يا معلم ، لما أنت متألم .. إن الأيام في سرعة تدور ، والأهِلّة تصبح بُدُور .. ولن تمر ستة شهور ، حتي أنال الشهادة ، وأعين في شركة السعادة ، فالدولة قد تكفلت الآن بالتعيين .. وصدر بذلك تقنين .. فلا تخش على أحد أن يتبطل ، ولو شاء هو أن يتعطل ..**

ولكن المعلم علوان .. صُمَّتْ منه الآذان .. وبدا كأنه نعسان .. فأحس الفتي بالهوان .. وتخيل حالته بعد أن يحرم من الفتاة .. ورزقه الذى أتاه ، فتخاذل وتضرع .. وبكى و توجع ، وأنشد وهو يبكى .. ولحاله يحكى :

**لكـــل شـــيء إذا مـــا تم نقصـــان**
**إلا غرامـــى بهـــذى البنـــت إحســـان**
**فـى كـــل يـــوم تزيـــد النـار فـى كبـدى**
**حتـــى انشويـــت ولكنـــى لســـه نشـوان**
**فـاعطـــف علـى صـــب قـــد أضَرَّ بـــه**
**هجـــر وسقـــم .. يا عـــم علـــوان**

فأثرت الدموع فى المعلم .. رغم أنه مبلم .. وقرر صرف الفتى فى دقيقة ، وإعلانه بالحقيقة . فقال

**ـ أنا آسف ؛ لأنى حـالف .. أجَوِّز بنتى إحـسـان ، لصـديقى المعلم رشوان ، وسأشاركه فى نصف دكان ..**

وتلتف شراعة ، إلينا فى امتنان ، وتأكد أنه تملك الآذان .. فأسرع قائلاً:

**ـ وهكذا وصلت بحمد الله و قدرته ، إلى الصراع الدرامى وذروته.. فها هما شابان متحابان .. و على الزواج متعاهدان ، يقف ضدهما رجلان رجعيان ، فماذا يفعلان ؟**

طبيعى لابد للحب أن ينتصر ، و أنف الأب الرجعى ينكسر .. و أخذت يازملائى .. وعدتي فى بلائى .. أفكر فى النهاية ، حتى لا تطول الرواية .. ولكن النوم غلبنى ، فسقطت على الفراش فى غيبوبة .. إلى أن أيقظتنى ابنتى عندما أقبل الليل ، وأكلت السمكة حتى الذيل ، وشربت الكنكة السادة ، ثم انقلبت إلى الورق .. مرحباً بالأرق ..

فـأعـدت الكرة ، و أحـسنت الفكرة .. و أدخلت بعض المفـاجـآت .. وأطلقت من صدر البنت آهات ، و على لسان الولد بعض الشعارات .. و أظهرت

الفرق بين عقلية الأب المتجمدة .. و آمال الولد المتعددة .. كذلك ركزت على إصرار البنت على الحب ، واستجابتها لنداء القلب .. كل ذلك يا زملائى فى كلام أخف من النسيم .. وأرق من حوار الحكيم ..

ثم كان ولابد من حل .. لهذا الموقف المعتل .. فأعملت التفكير .. واستغرقت فى التدبير ، وانتهيت إلي وجوب أن أكون واقعياً .. لا حنبلياً ولا شافعياً ، فأنهيت القصة بوفاة الأب بالسكتة .. القلبية عقب سماعه نكته .. وأبعدت رشوان ، بإدخاله اللومان .. و هكذا خلا الجو للمحبين بكل حرية ، فتزوجا فى علنية .. وعاشا فى بلهنية .. ونظر شراعة إلينا ليرى تأثير القِصَّة ، و قد تدلت على جبهته قُصَّة ، فقلنا إنها إحدى الروائع ، التى تزيل الهم و المواجع..

* * *